

Australian Journal of Islamic Studies
Vol.6, June 2016, pp. 1-32

*The Islamic Centre for Research and
Development Inc. Sydney, Australia*

الموساطة الإنسانية وحكمها في الفكر العربي والإسلامي

عيسى بن محمد المناعيّ

عبده عمر شوري

فاتح عبد السلام

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

ملخص البحث:

هناك العديد من أنواع الوساطات الدولية، وتناول هذا البحث تعريف الوساطة الإنسانية في العلاقات الدولية، وماهية الوساطة الإنسانية وحكمها في الفكر العربي والإسلامي، واستعرض مرتكزات الوساطة، وخصائصها الإنسانية في العلوم السياسية، وتم توضيح العلاقة بين الوساطة الإنسانية والمجالات العامة من جهة، والعلاقة الخاصة بين الوساطة الإنسانية والعلوم السياسية من جهة أخرى، كما استعرضت الدراسة الدور الفعال للوساطة العربية، وفي نهاية البحث تناول الباحث الاتجاهات عالمية الخمسة لتعزيز ممارسة الوساطة الإنسانية.

المقدمة:

لا يمكن تصور الحياة بدون نزاعات، كذلك لا يمكن تصور نزاع بدون حل، ولا بد من البحث عن السبل للفصل في هذه النزاعات، مع مراعاة قواعد العدالة والإنصاف، وتعتبر الوساطة من الوسائل الأكثر شيوعاً لحل النزاعات بهدف التوصل إلى تسوية مرضية بين الفرقاء المتنازعين، وهي تؤكد على حماية مصالح الفريقين أو الفرقاء الموافقين عليها، وهي

بالتالي اختيارية ولا تتبع قواعد إجرائية، وإنما تستلزم حواراً مفتوحاً على قدم المساواة بكل حرية وثقة، والقرار فيها ذاتي دون تدخل الوسيط وإنما يقرره الفرعاء بأنفسه، فالوساطة: وهي مرحلة متقدمة من التفاوض تتم بمشاركة طرف ثالث (وسيط)، يعمل على تسهيل الحوار بين الطرفين المتنازعين ومساعدتهما على التوصل لتسوية، إذن فهي آلية تقوم على أساس تدخل شخص ثالث محايد في المفاوضات بين طرفين متخاصمين بحيث يعمل هذا المحايد على تقريب وجهات النظر بين الطرفين وتسهيل التواصل بينهما وبالتالي مساعدتهما على إيجاد تسوية مناسبة لحكم النزاع.

ويحاول بعض الباحثين أن يجعل الوساطة الإنسانية هي فعل إنساني وليس سلوكاً طبيعياً؛ لأن الوساطة تبناها الإنسان بمحض إرادته الحرة بمختلف تجلياتها التاريخية، بينما يخضع السلوك الطبيعي إلى قوانين ضرورية لازمة، وهذا الفعل الإنساني منطلق من قاعدة الاستخلاف التي تنيط بالإنسان عمارة الأرض وتأسيس نظام اجتماعي يسمح بتطوير القدرات الإنسانية

وإبرازها(1). ومن خلال هذا البحث سوف نتعرف على طبيعة الوساطة الإنسانية، وما هو حكمها في الفكر العربي والإسلامي.

ماهية الوساطة الإنسانية وحكمها في الفكر العربي والإسلامي

أ- ماهية الوساطة الإنسانية:

قبل أن يشيع مفهوم الوساطة الإنسانية لدى الخاصة والعامة في عصرنا الحاضر (العقد الأول والعقد الثاني "الحالي" من الألفية الميلادية الثالثة) كان هناك كان في القرن الماضي (القرن العشرين) مصطلح يعرف بـ(الأمبدسمان Ombudsman)، ويعود استعماله للقرن الرابع عشر الميلادي بلفظ: (الأومبودسمان umbuðsmann)، وترجمته للعربية: (أمين المظالم/الوسيط)، وهو نفسه نظام الوساطة الإنسانية⁽²⁾، ويلعب الأمبدسمان دوراً مهماً في

(1) ينظر: الصافي، لؤي، إسلامية المعرفة من المبادئ المعرفية إلى الطرائق الإجرائية، مجلة إسلامية المعرفة، (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد الثالث): ص15.

(2) ينظر: شعبان، عبدالحسين، جذور التيار الديمقراطي في العراق؛ قراءة في أفكار حسين جميل هل انقطع نسل الليبرالية العراقية، (بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، 2007م): ص279.

العديد من الدول فيقوم بدور الوساطة بين الأطراف لردم الخلافات ومساعدة الأطراف للوصول إلى ما يرضيهم، وفي هذا عدالة منها تهدأ النفوس والخواطر وتطمئن القلوب، وبالطبع يتم اللجوء للوساطة لأنها تمثل الآن أحد أهم البدائل التي يلجأ لها الأطراف لتسوية منازعاتهم المختلفة بما فيها المنازعات ذات الصبغة الإدارية التنفيذية⁽³⁾، ومن التجارب تبين نجاح (الأمبدسمان) المؤثر في الكثير من الدول و المؤسسات الرسمية والشخصية⁽⁴⁾.

وقد شهد الخطاب العلمي منذ سنوات استعمالاً مكثفاً لمصطلح الوساطة الذي ما انفكَّ يأخذ أهمية متعاظمة، وتراوحت استعمالات هذا المصطلح بين اعتباره مفهوماً لتفسير الظاهرة الاتصالية ودور وسائط الإعلام فيها، أو جعله في أحيان أخرى مفهوماً مركزياً لعلم جديد يكون موضوعه الوساطة بالذات، وتشكّل الوساطة مجموعة آليات تعمل داخل أنماط متعددة

(3) ينظر: غالب، د. عبد القادر ورسمه، الأمبدسمان، مركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية،

<http://www.kantakji.com/>

(4) ينظر: المصدر نفسه.

من العلاقات حتى تلك التي تبدو بعيدة عن الإعلام والاتصال، إذ نجدتها في مجالات أخرى كعلم النفس وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا فضلاً عن الحقلين السياسي والاجتماعي⁽⁵⁾. ويجادل بعض الباحثين أن يجعل الوساطة الإنسانية هي فعل إنساني وليس سلوكاً طبيعياً؛ لأن الوساطة تبناها الإنسان بمحض إرادته الحرة بمختلف تجلياتها التاريخية، بينما يخضع السلوك الطبيعي إلى قوانين ضرورية لازمة، وهذا الفعل الإنساني منطلق من قاعدة الاستخلاف التي تنيط بالإنسان عمارة الأرض وتأسيس نظام اجتماعي يسمح بتطوير القدرات الإنسانية وإبرازها⁽⁶⁾.

(5) ينظر: الحمامي، د. الصادق، مفهوم الوساطة، اتحاد إذاعات الدول العربية، العدد: (1)، (تونس، 1999م): ص52-53.

(6) ينظر: الصافي، لؤي، إسلامية المعرفة من المبادئ المعرفية إلى الطرائق الإجرائية، مجلة إسلامية المعرفة، (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد الثالث): ص15.

لقد أصبحت الوساطة اليوم إحدى الآليات الرئيسية في عملية الانسجام الاجتماعي، وقد أنشأت وظيفة الوسيط أو الموقِّق في عديد من الدول الأوروبية لتحقيق غلبة منطق التوافق على منطق الصراع⁽⁷⁾.

ويعد روني جيرار من المفكرين الذين جعلوا من الوساطة والوسيط مفهوميين رئيسيين لمقاربة الثقافة فاعتبرهما آلية رئيسية لفهم الإنسان في علاقته مع الآخر إذ جعل من الوسيط محايداً للأنا متداخلاً معه بحكم علاقته بالعالم⁽⁸⁾.

وترتكز الوساطة على ثلاث ركائز أساسية، هي⁽⁹⁾:

أولاً: الوعي/التمكين: يساعد الوسيط كل طرف على إدراك الأسباب الرئيسة والمشاعر الانفعالية الساخنة التي أدت إلى ظهور الصراع، أو التي تتحكم في النزاع الآن، ومن خلال

(7) ينظر: الحمامي، مفهوم الوساطة: ص 57.

(8) René Gérard: «mensonge romantique et vérité romanesque», Paris, Grasset, 1961.

(9) ينظر: سليم، دليلك في الوساطة، ص 52.

التدريب والأشكال الأخرى من الدعم، فيستطيع الوسيط أن يقدم منهجاً يمكن طرف النزاع من التعامل مع المشكلة ومع الطرف الآخر.

ثانياً: الفهم/الاعتراف: يشجع الوسيط كل طرف من أطراف النزاع على الفهم العميق لمصالح الطرف الآخر، ويقدم لهم الحقائق والحلول المقترحة إلى جانب الاختبار الإضافي لكل طرف لكي يجعله في النهاية يعترف اعترافاً محددًا للجانب الآخر في النزاع يتعلق بحقوقه ومصالحه.

ثالثاً: الاتفاق/الصلح: يقدم الوسيط عملية قد تنتهي إما بالاتفاق، وإما بعدم الاتفاق (طريق مسدود)، وقد يأخذ الاتفاق شكل الالتزام بعدم الاشتباك العنيف (بدنياً أو كلامياً)، أو قد يتضمن الاتفاق الاعتراف بالأخطاء السابقة، والاعتذار عنها، والتعويض عن الأضرار، والصفح والتسامح.

ب- حكم الوساطة في الفكر العربي والإسلامي:

كانت الوساطة العربية التقليدية في حل النزاع محوراً للعائلة والمجتمع، وطبيعتها تركز على العلاقات والصلوات والروابط وليس على المصالح، فالوسيط العربي يستخدم مقارنة

جماعية على أثر النزاع في المجتمع، لذلك يكون للوسيط دور كبير لأن كلمته مسموعة، كونه يتمتع بسيرة حسنة، وأنه نزيه اليد واسع الصدر، ويتبوأ مركزاً اجتماعياً في عشيرته أو قبيلته، وله هيبة في كلامه ومجلسه، مع خبرة كافية وافية بالأعراف والتقاليد والسوابق القضائية البدوية⁽¹⁰⁾.

تمارس عمليات الوساطة للوصول إلى تسويات في المجتمعات العربية، فالمجتمع الذي يشهد وقوع نزاعات باستمرار يضطر إلى تطوير آليات لتسوية الخلافات التي إذا خرجت عن السيطرة فإن بإمكانها تدمير النسيج الاجتماعي بزمته، وقد ظل العالم العربي يمارس عملية الوساطة والمصالحة على المستويات العشائرية والقروية منذ قرون بالطرق التقليدية المعروفة لتسوية النزاعات وما تزال هذه الطرق تتبع حتى يومنا هذا⁽¹¹⁾.

(10) ينظر: مقارنة بين الوساطة الغربية والوساطة العربية: [/http://www.tanmia.ma/ar](http://www.tanmia.ma/ar)

(11) ينظر: مور، عملية الوساطة: استراتيجيات عملية لحل النزاعات، ص 71.

وفي المجتمعات الإسلامية تستمد الوساطة مفاهيمها من القرآن الكريم والسنة النبوية،
 وآيات الصلح ومرادفاتها، ونصوص الأحاديث النبوية الشريفة التي أرشد إلى ذلك أيضاً،
 ووضّحت ما أجمله القرآن الكريم من كيفية الاستماع للمتخاصمين، ومساواتهم في المجلس
 واللفظ واللحظ، وعموماً فالكتب السماوية والشرائع الدينية تنص في تعاليمها على إخماد
 الفتن والحد من مضاعفاتها، والأمر بإعادة الوفاق والوثام بين الناس، والحفاظ على الأواصر
 والروابط بين الأسر في المجتمع⁽¹²⁾.

وليس هناك من شك في أن الدول العربية بشكل عام متضمنة دول الخليج هي دول على
 دراية واسعة بالتحكيم، والمصالحة والوساطة حيث أن تلك الدول مارست تلك الأمور منذ
 زمن بعيد خاصة فيما يتعلق بالتجارة الداخلية، وتلك الطرق سابقة الذكر والتي تستخدم في
 تسوية النزاعات التجارية هي طرق متأصلة بعمق في الأعراف العربية وقد تم تطبيقها في

(12) ينظر: المصدر نفسه.

ممارسات فعلية حيث تتضمن الشريعة الإسلامية نصوص واضحة تتعلق بتلك الأمور والتي تقوم في الأساس على القرآن⁽¹³⁾.

وقد نال هذا الموضوع اهتمام الإعلام العربي وأعني به الوساطة العربية والإسلامية من ذلك على سبيل المثال لا الحصر برنامج "منبر الجزيرة" فقد عرض موضوع: (الوساطة العربية والأجنبية في حل الأزمات) فقد عرض إشكالية مهمة مفادها هل "الوساطات العربية" عربية الجغرافية أو الفكر؟ فالوسطاء العرب على مستوى الأفراد والدول وعلى مستوى الذين جامعة الدول العربية عندما يتدخلون لحل أية مشكلة هل يقومون بحل هذه المشكلة على أساس القرارات الدولية التي هي أساسًا "غربية" الأصل، أم أنهم يحاولون حل هذه المشاكل على أساس أن هذه الأمة أمة عربية وإسلامية ولا بد من أن مشاكلها تحل على أساس الأعراف العربية والعقيدة الإسلامية⁽¹⁴⁾.

ثم هل "الوساطة العربية" لها استقلالية في الممارسات والقرارات العربية؟ أو أنها متعلقة وذات صلة بالسيطرة الأميركية الغربية الصهيونية على القرار العربي؟ بمعنى هل الوساطة العربية هي ترجمة أو تعريب للإرادة الغربية في المنطقة العربية؟ وقد كانت الإجابات عن هذه الأسئلة

(13) ينظر: خاتشدوريان، د. ميناس، التحكيم والوساطة بين أوروبا والخليج، (مركز شرم الشيخ للتحكيم الدولي، مصر، 2008م): ص2.

(14) ينظر: الجزيرة نت. <http://www.aljazeera.net/programs/al-jazeera-platform/2008/5/26>

ذات اتجاهات مختلفة تعبر عن رأي المحللين السياسيين كل حسب وجهة نظره، وقد طرح البرنامج قضية مهمة وهي أن الوسيط العربي في أدنى حالاته وفي أقل مستوياته وفي غيابه الفكري والوطني والقومي هو أفضل من الوساطة الأجنبية، شرط أن يكون الوسيط العربي صادق النوايا وبعيداً عن الاتهام للعب أدوار تآمرية ربما للغرب أو لغيره⁽¹⁵⁾.

إشكالية أخرى يحسن مناقشتها في موضوع الوساطة العربية، وهي أين دور الجامعة العربية في الوساطات العربية؟ الجامعة العربية التي من المفترض أن يكون لها دور كبير في هذا الموضوع، ولكن الدراسات السابقة المنجزة في هذا الإطار تشير إلى أنه خلال الفترة ما بين: 1945-1981م بلغت نسبة حل المنازعات العربية عن طريق الاتفاق الثنائي بين الأطراف نسبة 84.32%، وأما نسبة وساطة بلد عربي فبلغت 10.44%، في حين اقتصر دور الجامعة العربية على نسبة قدرها 8.95% فقط، فقد ظلت مساهمة جامعة الدول العربية في مجال تسوية المنازعات العربية-العربية غير ذات أهمية بالمقارنة مع الوسائل الأخرى، لذلك أية مبادرة وساطة من دولة عربية لا تحسب للعرب ولا للجامعة العربية وإنما تحسب للدولة الوسيطة فقط⁽¹⁶⁾.

خصائص الوساطة الإنسانية في العلوم السياسية

(15) ينظر: المصدر نفسه.

(16) ينظر: فراج، المحامي مصطفى محود، وسائل تسوية المنازعات في إطار جامعة الدول العربية،

<http://www.farrajlawyer.com/viewTopic.php?topicId=477>

أولاً-العلاقة بين الوساطة الإنسانية والمجالات العامة: للوساطات صلات وعلاقات ومجالات بالحياة العامة من خلال أنواعها، فهناك الوساطة القضائية والقانونية في المحاكم، وهناك الوساطة الاتفاقية في المجتمع بين الناس، وهناك الوساطة المالية في المصارف والشركات، وهناك وساطة مدنية وعسكرية، ووساطة سياسية ودبلوماسية، فمجالات الوساطة العامة عديدة ومتوسعة.

وعلى الرغم من أن الوساطة تمارس في جميع أنحاء العالم كوسيلة لحل النزاعات الشخصية والمؤسسية والتجارية والقانونية والمجتمعية والحكومية والعرقية والدولية⁽¹⁷⁾، فقد نمت الوساطة

(17) ينظر: مور، عملية الوساطة: استراتيجيات عملية لحل النزاعات، ص56.

بسرعة منذ منتصف عقد الثمانينات من القرن العشرين في مجال الشركات والقطاع التجاري بحيث تفوقت في بعض أنواع النزاعات على التحكيم كخيار للحل⁽¹⁸⁾.

ومن أهم خصائص الوساطة العامة هي "القبولية" فتقبل الوسيط من قبل الأطراف المتنازعة أساس لسير عملية الوساطة، وفي العديد من مجتمعات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا تمارس عمليات الوساطة من قِبَل وسيط يتمتع بالاحترام بين قومه، أو من قِبَل شخص له منزلة خاصة؛ ولكن الوسطاء في العالم العربي بشكل عام يجب أن يكونوا محايدين غير متحيزين ويتمتعون بمركز رفيع بحيث لا يستطيع أي من الأطراف المتنازعة أن يمارس عليهم أية ضغوط⁽¹⁹⁾.

(18) ينظر: المصدر نفسه، ص36.

(19) ينظر: المصدر نفسه، ص71.

ومن الحديث عن أهمية الوساطة العامة وعلاقتها يستلزم الحديث عن مميزاتها عن غيرها من الحلول الممكنة في حل النزاعات في المجتمع، ويمكن إجمال مزايا الوساطة المعاصرة بمجموعة من المزايا أهمها⁽²⁰⁾:

1. **السرية:** تضمن الوساطة سرية القضايا والنزاعات، عبر مقتضيات نظامها العرفي

الذي يقبل الأطراف الالتزام بها، ولعل هذه النقطة بالذات أهم ميزاتها والتي

يفضلها الناس على المحاكم والقضاء، وسواء نجحت الوساطة أو فشلت فإنَّ

الأطراف لن تتحرج من عرض قضيتها على الوسيط.

(20) ينظر: فريج، أ.د. سامي محمد، *تسوية النزاعات*، (دار نشر للجامعات، الطبعة الثانية، القاهرة، 2011م):

ص113. وينظر أيضاً: أبوركبة، سمر، *الوساطة لحل المنازعات الدولية قضية لوكربي دراسة حالة*، صحيفة دنيا الوطن،

فلسطين، 2011م.

2. **البساطة:** تتسم الوساطة بالبساطة وعدم التعقيد، وتتم عبر نظام أساسي يمتاز بالمرونة ويترك الحرية للأطراف والوسيط للالتزام بقواعد القانون أو الأعراف والتقاليد.

3. **السرعة:** يحدد الأطراف آجال مسطرة الوساطة والتي لا يجب أن تتعدى أشهر، وربما أقل فقد يتوصل الأطراف إلى حل ما في يوم واحد أو في جلسة واحدة، فالوساطة تتسم بالسرعة قياساً على غيرها من الحلول، فيختارها الناس لحفظ أوقاتهم من الضياع والمواعيد المتكررة والمؤجلة.

4. **كلفة محدودة:** تتحدد أتعاب الوسيط والرسوم وفقاً للجدول بشكل لا يعيق حل النزاع، فتكاليف الوساطة غير باهظة، فقد يأخذ الوسيط أتعابه مناصفة بالسوية من الأطراف محسوبة بساعات العمل ذات المدة المحدودة، أو يتكفل

الطرف الثالث بكل المصاريف، أو الجهة الراعية للوساطة، فبالتالي مصاريف الوساطة أقل بكثير من مصاريف المحاماة مثلاً.

5. **المرونة:** إن كل ما تطرحه الوساطة من حلول وما يقترحه الوسيط من أفكار تبقى في حدود اختيار الأطراف وليس على وجه الإلزام، وعلى أن يتم كل شيء بالتراضي وليس غيره، وهذه ميزة عامة يجذبها الناس ويستحسنونها لأنها إجراء يخضع لرغبة الأطراف مع احترام لحريتهم في اتخاذ قراراتهم ومصيرهم.

6. **الثقة:** تلعب الثقة في شروط الوسيط دوراً في اطمئنان الأطراف للحلول، وزيادة نسبة إقناعهم بها، وهذه الثقة مبنية على كون الوسيط محايداً لجميع الأطراف، ويقف على مسافة واحدة من الجميع، كما أن الثقة تستلزم فعلاً المصادقية والنزاهة من قبل الوسيط نفسه، فضلاً عن كفاءته ومهاراته.

ثانياً-العلاقة الخاصة بين الوساطة الإنسانية والعلوم السياسية: بالنظر لسوسيولوجيا

الفاعل الاجتماع يستشف أن الوساطة باتت ضرورية ويمكن فهم وإدراك أهميتها انطلاقاً من الثمالات التي يقيمها الباحثون والمهتمون بها، ففي الاستعمالات الكثيرة لمفهوم الوساطة

تظهر هناك الوساطة في العلوم السياسية وهي رؤية أخرى للوساطة كآلية لترسيخ ثقافة التغيير عموماً والتغيير السياسي على وجه التحديد، تمنح السلطة السياسية لمختلف الفاعلين والأطراف للأخذ بمسؤولياتهم ولا يفوضون قراراتهم للعبث فيها، لا سيما في الحقل السياسي الذي هو أكثر تعقيداً والأبعد على حمل الفرقاء وأطياف المجتمع المعقد والمتنوع للالتقاء بسهولة والقبول بالوساطة، لذا بات للقيام بها أن تتوفر جملة من الشروط القبلية يمكن حصرها فيما يأتي (21):

- 1- ترسيخها كثقافة لا كممارسة ظرفية، بمعنى جعلها سلوك قبلي قبل انتشار العنف واندثار رأس المال الاجتماعي، كغياب الثقة وتراجع الإرادة للتغيير
- جاء سيادة سيكولوجية جمعية الكل يخاف الكل، المجتمع يخاف السلطة ، والسلطة تخاف المجتمع، وعليه تبرز قوي ظلامية ورجعية تقاوم التغيير.

(21) ينظر: الجمعي، د. نوي، التأطير والوساطة السياسية كآليات لتسيير التغيير السياسي في المجتمعات العربية، مؤتمر: ثقافة التغيير الأبعاد الفكرية والعوامل والتمثلات، جامعة فيلادلفيا، الأردن، 6-8 تشرين الثاني/نوفمبر 2012م، ص8-9.

2- إن الوساطة لا يمكن أن تتجسد كفلسفة ولا كمارسة، دون إدراك أن التاريخ الاجتماعي دوما لا يتلاقى وتاريخ الأفكار، وكذا التقاء التمثلات مع الحقيقة السياسية والاجتماعية، بعبارة أشمل إن الوساطة لا يمكن أن تؤدي الغرض في ترسيخ ثقافة سياسية للتغيير الاستراتيجي، إذا ما هيمن الخطاب السياسي النافي للاختلافات في المجتمع، وهو ما نعرفه في الخطاب السياسي في العالم العربي.

3- إن الوساطة تقتضي الأخذ بالتمثلات للتغيير المعبر عنه، كحاجة ليس من الضروري تماثل بنفس الكيفية لدي كل أطراف المجتمع وقواه السياسية، فالتمثلات التي تجعل من فئات بالمجتمع يقيمون علاقاتهم مع الواقع السياسي كمخيال ومع باقي الفئات الاجتماعية الأخرى.

مما سبق، إن الوساطة ليست مفهوماً أيديولوجياً أي حكر لتيار سياسي معين ولا لمؤسسات دون أخرى بل هو نشاط اجتماعي سياسي ثقافي يمارسها كل من له رغبة العيش معاً في المجتمع الواحد، مع العلم وبالرغم من كون مفهوم الوساطة هو مفهوم غربي بامتياز؛

لكننا كمجتمعات عربية نمتلكه في ثنايا بنايتنا الثقافية ومؤسساتنا الاجتماعية المختلفة، العائلة والمسجد، ومجلس القرية أو العرش، لكن الوساطة توقفت عن الاشتغال وهذا مرده وفق الرؤية الدوركيمية، ففي مفارقة في المجتمع العربي تم القضاء علي هذه البنيات تحت وقع التحديث والاستحضار لأفكار ناجزة في الحقل السياسي دون أن تنتج من رحم مجتمعاتنا وتاريخنا، مؤسسات عضوية، وهنا أقصد الأحزاب والدولة والمجتمع المدني ، التي تتداول في الخطاب العارف والسياسي، دون أن يتم توفير الشروط لترجمتها كممارسة وللمؤسسات لتكون اسم على مسمى (22).

(22) ينظر: المصدر نفسه، نقلاً عن:

Emile Durkheim ; de la division social du travail social, Presses universitaires françaises,
2007, p19

ومن خلال اطلاعي على الوساطات بأنواعها يمكن لي أن أخصّص أموراً تخص الوساطة السياسية دون غيرها، لأن للوساطة السياسية محاذيراً عامة وخاصة تختلف عن باقي أنواع الوساطات الأخرى من وجهة نظري، ويمكن تحديد مخاطرها وحدودها الحمراء على ما يأتي:

- 1- احترام سيادة الدول إذا كانت طرفاً في النزاع.
- 2- صلة الوساطة السياسية بالأتكيت الدبلوماسي في كيفية التعامل مع الأطراف، منها على سبيل المثال كيفية استدعاء أو دعوة الأطراف المتنازعة للوساطة في حال استفحال النزاع بينها.
- 3- يراعى في الوساطة السياسية القوانين الدولية العامة والمواثيق الأممية والإقليمية، فتكون مستنداً لإجراءات الوساطة ولا يسعه الوسيط الخروج عنها أو مخالفتها؛ بل تكون محل نظر في الممارسات والقرارات.
- 4- الوساطة السياسية تختلف عن الوساطة العامة من حيث اختيار الوسيط، ففي الوساطة العامة تشترط مواصفات اختيار الوسيط منها العمر (السن) بأن يكون كبيراً وذا خبرة طويلة وزعيماً في القرية أو البلدة أو المجتمع، أما في الوساطة

السياسية فلا يتشترط ذلك، ولذلك رأت الباحثة الدكتورة نهلة ياسين حمدان: أن الوساطة لا تقتصر وساطة الطرف الثالث على الوساطة التي تقوم بها الدول العظمى مثل الولايات المتحدة أو روسيا، فإن جهود الوساطة التي تقوم بها دول صغيرة الحجم أو متوسطة تكون في بعض الأحيان خياراً جيداً⁽²³⁾.

إذن فللوساطة صلة قوية بالعلوم السياسية، ومن الواضح جداً أن الوساطة لعبت دوراً رئيسياً (سياسياً) في مجتمعات الشرق الأوسط في حل النزاعات الدبلوماسية والحروب الخطيرة، وسواء في عملية السلام⁽²⁴⁾.

(23) ينظر: حمدان، الوساطة في الخلافات العربية المعاصرة، ص26.

(24) ينظر: مور، عملية الوساطة: استراتيجيات عملية لحل النزاعات، ص72.

فعالية الوساطات الإنسانية عربياً ودولياً:

أ- فعالية الوساطات الإنسانية عربياً: في العديد من المجتمعات الرعوية التقليدية في الشرق الأوسط كانت النزاعات تُحلّ غالباً عن طريق عقد اجتماع لكبار السن في المجتمع، يتم فيه النقاش والجدال وتوضيح الأمور والتوسط من أجل حل نزاع جوهرى أو قبلي أو قضايا عالقة بين العشائر، أما في المناطق الحضرية فقد تم إدراج الأعراف ضمن قانون الشريعة الذي كان يفسر ويطبق من قبل وسيط يدعى "القاضي" وهؤلاء المسؤولون لم يحكموا بتطبيق الشريعة فحسب؛ بل عملوا أيضاً كوسطاء بين الناس (25).

وتعتبر الوساطة شأناً أساسياً في مجتمعات الشرق الأوسط في القضايا التي تمس الشرف أو الكرامة أو حفظ ماء الوجه حيث تقدم التنازلات من أجل تسويتها، وفي مثل هذه

(25) ينظر: مور، عملية الوساطة: استراتيجيات عملية لحل النزاعات، ص 46.

الحالات يصعب إجراء المفاوضات وجهاً لوجه ويتطلب الأمر وجود وسيط من أجل فصل الأطراف المتنازعة والوصول إلى ترتيب مقبول يحفظ الشرف أو الكرامة⁽²⁶⁾.

وسأعرض هنا بعض نموذجين عربيين في الوساطات:

النموذج الأول: الوساطة العربية الداخلية تطور تاريخ الوساطة في الوطن العربي أثناء

حقبة ما بعد الاستعمار، وقد ظهرت أنواع جديدة من الصراعات: (إقليمية وإيديولوجية متعلقة بالهوية ومتعلقة بالسيادة)، ومع بزوغ الدول الحديثة في الشرق الأوسط، ومع خلق حدود مصطنعة جديدة للدول المستقلة حديثاً في المنطقة، فقد اقتضت هذه الأنواع من المنازعات تدخل وسيط (طرف ثالث) لمساعدة المتنازعين على التصالح وتحقيق اتفاق متبادل، وتشكّل مفاوضات القاهرة في إبريل 1963م وثيقة سياسية مهمة تصوّر بعض اتجاهات التفاوض العربي-العربي، أو الوساطة العربية، فلقد كان الغرض من هذه المحادثات التفاوض على وحدة فدرالية (سورية-مصرية-عراقية) جرت على خلفية من قلاقل سياسية، وكان

(26) ينظر: المصدر نفسه، ص 71.

الشعور بين النخبة في ذلك الوقت هو أن توحيد هذه البلدان الثلاثة يمثل إيماناً بالوحدة العربية⁽²⁷⁾.

النموذج الثاني: الوساطة العربية الخارجية على مستوى الوساطة بين العرب وغيرهم من الأمم والدول فقد كان متمثلاً في أحداث التوتر السياسي والعسكري الدائم بين الرومان والفرس، فقد دأب الفرس على قطع الطريق التجارية على التجار الرومان، فأفسح المجال أمام مدينة تدمر على أن تلعب دور الوساطة التجارية كمنطقة شبه محايدة، وإن كانت داخلة ضمن النفوذ الروماني، طالما أنها لم تكن من الناحية الرسمية، وهكذا تضمن روما الحصول على السلع اللازمة لها من الشرق الأوسط والأقصى⁽²⁸⁾.

(27) ينظر: السلطان، منيرة فيصل عبدالله، الوساطة أداة رئيسة من أدوات تنفيذ السياسة الخارجية الكويتية: عربياً وإسلامياً، رسالة ماجستير، (جامعة الشرق الأوسط، 2012م)، ص20.

(28) ينظر: عبد الوهاب، لطفي، العرب في العصور القديمة، الطبعة الثانية، (دار المعرفة الجامعية)، ص293.

وأما حديثاً ففي النزاعات العربية – اللاعربية تبدو المحادثات غير المباشرة و/أو التمهيدية من مستلزمات نجاح جهود الوساطة، وهذا مطلب ثقافي من جانب منه يرجع إلى المخاطر السياسية التي تكون كامنة حينما يتعين على أطراف عربية أن تجتمع بأطراف غير عربية وجهاً لوجه، ووظيفة الوسيط من طرف ثالث جوهرية في هذه المرحلة للمساعدة في إنقاذ ماء الوجه بالنسبة للزعماء الذين يخشون العزلة الشخصية وخاصة في منطقة الشرق الأوسط حينما يحاولون تناول مزاعم خصومهم بصفة مباشرة⁽²⁹⁾.

ب- فعالية الوساطات الإنسانية دولياً: تملك الوساطة تاريخاً عريقاً في جميع حضارات العالم، فالحضارات اليهودية والمسيحية والإسلامية والهندوسية والبوذية والكونفوشية وغيرها من حضارات الشعوب الأصلية تضم تقاليد واسعة وفعالة في ممارسة الوساطة⁽³⁰⁾.

(29) ينظر: حمدان، الوساطة في الخلافات العربية المعاصرة، ص305.

(30) ينظر: مور، عملية الوساطة: استراتيجيات عملية لحل النزاعات، الأهلية للنشر، 2007م، ص36.

فأما الوساطة في الحضارة الإسلامية فلها تقاليد عريقة⁽³¹⁾، فنجد في التراث الإسلامي تأكيد على الوحدة (الجماعة) بغض النظر عن العرقية أو القبلية أو الطائفية، و(الأمة) مفهوم سياسي-اجتماعي للتضامن بين جماعات مختلفة تؤمن إجماعاً بين الجماعات المختلفة⁽³²⁾.

فمن هنا تتعاقب المجتمعات الإسلامية في الوطن العربي مع المجتمعات الدولية بكافة أديانها وقومياتها وجنسياتها لتفعيل الوساطة عملياً وتحقيق صلاحيتها في الحل السلمي للنزاعات كافة، وفيما يأتي خمسة اتجاهات عالمية تعزز ممارسة الوساطة الإنسانية وتفعّل أساليبها على ما يأتي⁽³³⁾:

(31) ينظر: المصدر نفسه، ص45.

(32) ينظر: السلطان، الوساطة أداة رئيسة من أدوات تنفيذ السياسة الخارجية الكويتية: عربياً وإسلامياً، ص23.

(33) ينظر: بدوى، د. منير محمود، الوساطة ودور الطرف الثالث في تسوية المنازعات، مجلة دراسات مستقبلية، العدد الثامن (يوليو 2003م): ص83-87.

1- الاتجاه الأول: الاتجاه التكتيكي وهذا الاتجاه يقوم على التمييز بين أنواع ثلاثة

- من تكتيكات الوساطة، ولكل واحد منها خصائص وأبعاد، وهي:
- الانعكاسي، ويعتبر هذا الاتجاه من أكثر الاتجاهات ذيوماً وانتشاراً، فيقوم الوسيط ببناء الثقة التي تتم من خلال هذا الأسلوب لتسهم في خلق علاقات التقارب ومن ثم تؤثر في فرص نجاح الوساطة.
 - غير التوجيهي (التلقائي)، وهو ما يفعله الوسيط في تحقيق الاتصال المفتوح بين الأطراف لدعم قدرة الأطراف على التوصل إلى اتفاق فيما بينها، فدور الوسيط تكتيكيّ لمساعدة الآخرين على النجاح بجهودهم.
 - الموجه، وهو أسلوب الضغط التوجيهي المباشر، فإن تكتيك ممارسة الضغوط يحتاج إلى مساحة تسمح للوسيط بممارستها؛ وإلا فيخشى من الأسلوب الموجه إن لم يكن مدروساً أن يؤثر سلباً في الأطراف أو بعضها، فالوساطة -هنا- وساطة جريئة.

2- الاتجاه الثاني: الاتجاه الاستراتيجي ويقوم هذا الاتجاه على أربع قضايا رئيسية،

وهي:

- التكامل: وفيه تتوصل الأطراف المتنازعة إلى اختيارات مشتركة.
- البدائل: وفيه تتم تبديل مجموعة المسائل المختلف عليها إلى مسائل متفق عليها.

- المكافأة: في جعل الاتفاق أكثر جاذبية للبدائل.

- عدم التصرف: وهي التي لا يسع الوسيط التدخل فيها أو المساومة عليها.

3- الاتجاه الثالث: الاتجاه التوقيتي وهو اتجاه يهتم بتوقيت حل النزاع، والوقت

المناسب للتدخل، عندما يكون النزاع جاهزاً للتسوية، والتأخر عن هذه المرحلة قد يغلق أبواب الفرص، ولن يكون هناك أمل في التراجع أو التفاوض.

4- الاتجاه الرابع: التدرجي وهو الاتجاه الذي يعتمد على تقديم مقترحات الوساطة

بمراحلين أو مراحل، والتفريق بين المراحل المبكرة والمتأخرة، باستخدام التوجيهات الأقل تأثيراً ومن ثم الانتقال إلى التوجيهات الأكثر توجيهاً.

5- الاتجاه الخامس: الاتجاه المرحلي وهو الاتجاه الذي يصل إلى الاتفاق والتسوية

من خلال ثلاثة مراحل في كل وساطة، وهي:

- المرحلة الأولى: مرحلة الاتصالات، وفيها يكون جمع المعلومات اللازمة عن

الوساطة، وصياغة جدول الأعمال، والاتصال بالأطراف المتنازعة.

- المرحلة الوسطى: مرحلة مناقشة البدائل والحلول الممكنة.

- المرحلة النهائية: مرحلة الحديث عن الاتفاقات.

الخاتمة:

من خلال هذا البحث اتضح لنا أهمية الوساطة الإنسانية، وإن الانسان يمارسها في حياته في بيعه وشرائه وفي كافة تعاملاته، ثم تحول الاهتمام المتزايد بها حتى أصبحت علم له أصوله ومفاهيمه ومصطلحاته ومراجعته، ولها أسس ومرتكزات تستند عليها، كما وجدت اتجاهات عالمية لتعزيز ممارسة الوساطة الإنسانية وتفعيل أساليبها، وإن العرب والمسلمين استخدموا الوساطة في فض نزاعاتهم، خارجياً وداخلياً، وهي من صميم في تشريعنا الإسلامي.

لذلك فإن الباحث يوصي الجهات البحثية والجامعات الاهتمام بهذا العلم، وتدريبه في الجامعات، وأن يتم تناوله من خلال الأبحاث الأكاديمية، ويوصي الحكومات بسن تشريعات خاصة بالوساطة، لما لها من أهمية في فض النزاعات، وتخفيف الأعباء عن القضاء الرسمي.

المصادر والمراجع

- (1) الصافي، لؤي، إسلامية المعرفة من المبادئ المعرفية إلى الطرائق الإجرائية، مجلة إسلامية المعرفة، (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد الثالث).
- (2) شعبان، عبدالحسين، جذور التيار الديمقراطي في العراق؛ قراءة في أفكار حسين جميل هل انقطع نسل الليبرالية العراقية، (بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، 2007م).
- (3) غالب، د. عبد القادر ورسمه، الأمدسمان، مركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية، <http://www.kantakji.com/>
- (4) الحمامي، د. الصادق، مفهوم الوساطة، اتحاد إذاعات الدول العربية، العدد: (1)، تونس
- (5) René Gérard: «mensonge romantique et vérité romanesque», Paris, Grasset, 1961.
- (6) ينظر: مقارنة بين الوساطة الغربية والوساطة العربية: <http://www.tanmia.ma/ar/>
- (7) خاتشدوريان، د. ميناس، التحكيم والوساطة بين أوروبا والخليج، (مركز شرم الشيخ للتحكيم الدولي، مصر، 2008م).
- (8) الجزيرة نت. <http://www.aljazeera.net/programs/al-jazeera-platform/2008/5/26>
- (9) فراج، المحامي مصطفى محود، وسائل تسوية المنازعات في إطار جامعة الدول العربية، <http://www.farrajlawyer.com/viewTopic.php?topicId>

- (10) فريج، أ.د. سامي محمد، تسوية النزاعات، (دار نشر للجامعات، الطبعة الثانية، القاهرة، 2011م): ص113. وينظر أيضاً: أبوركبة، سمر، الوساطة لحل المنازعات الدولية قضية لوكربي دراسة حالة، صحيفة دنيا الوطن، فلسطين، 2011م.
- (11) الجمعي، د. نوي، التأطير والوساطة السياسية كآليات لتسيير التغيير السياسي في المجتمعات العربية، مؤتمر: ثقافة التغيير الأبعاد الفكرية والعوامل والتمثلات، جامعة فيلادلفيا، الأردن، 6-8 تشرين الثاني/نوفمبر 2012م.
- (12) السلطان، منيرة فيصل عبد الله، الوساطة أداة رئيسة من أدوات تنفيذ السياسة الخارجية الكويتية: عربياً وإسلامياً، رسالة ماجستير، (جامعة الشرق الأوسط، 2012م).
- (13) عبد الوهاب، لطفي، العرب في العصور القديمة، الطبعة الثانية، (دار المعرفة الجامعية)، ص293.
- (14) الطائي، د. حيدر أدهم، الوساطة كطريقة لتسوية المنازعات الدولية: الوسيط القطري نموذجاً، (العراق، مجلة جامعة النهرين، العدد: (20)، المجلد: (43)، 2014م).
- (15) بدوي، د. منير محمود، الوساطة ودور الطرف الثالث في تسوية المنازعات، مجلة دراسات مستقبلية، العدد الثامن (يوليو 2003م).
- (16) مور، كريستوفر، عملية الوساطة: استراتيجيات عملية لحل النزاعات، الأهلية للنشر، 2007.